مجلة الدراسات الأثرية ISSN: 1111-7699
المجلد:22 / العدد:01/2024/ ص ص 304 - 319 EISSN 2600-6499

قلعة بني حماد من خلال النصوص التاريخية والبقايا الأثرية

Beni Hammad Citadel through historical texts and archaeological remains

عائشة رقية قلاتي[1*] ، عائشة حنفي[2]
[1] جامعة الجزائر2 – aicha.rekia.guellati@univ-alger2.dz
[2] جامعة الجزائر2 – aicha.hanafi@univ-alger2.dz

تاريخ الإستلام:2024/04/16 تاريخ القبول:2024/12/21 تاريخ النشر:2024/12/31

الملخص:عرفت قلعة بني حماد تطورا حضاريا هاما خلال القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي، وهو ما أدى إلى إكتسابها قوة في شتى المجالات، بحكم موقعها الإستراتيجي الحصين ما ساعدها على البقاء شامخة متصدية لكل الهجمات المعادية، وذلك نتيجة الحياة الهادئة وازدهار المجتمع ورخائه وخلوه من المشاكل الداخلية والخارجية آنذاك.
كما شهدت إشعاعا كبيرا على كل المستويات الثقافية والعلمية والإقتصادية والصناعية، فهي بذلك تقدم صورة حقيقية للمدينة الإسلامية المحصنة التي خضعت إلى شروط بناء هذه الأخيرة، حيث عمد القائمون عليها إلى تشييد العديد من المشاريع المعمارية من قصور وأسوار ومساجد وغيرها من العمائر. بالإضافة إلى العديد من الحرف والصنائع التي ميزت تلك المنطقة، هذا ما يؤكده الرحالة والجغرافيين وكذا الحفريات الأثرية التي أقيمت بالموقع التي كشفت على العديد من المنشآت المعمارية المختلفة الدينية كالمساجد والمدنية كقصر المنار والدفاعية كالسور المحيط بها وكذا البقايا الأثرية بمختف أنواعها كالفخار والخزف والزجاج وغيرها.

سنحاول من خلال هذا المقال إبراز المكانة الحضارية لهذه القلعة حسب ما ورد على لسان بعض الجغرافيين والرحالة بالإضافة إلى البعض من نماذج البقايا الأثرية التي اكتشفت أثناء الحفريات خلال القرن العشرين .

الكلمات المفتاحية:القلعة، بني حماد، مصادر، فنون، عمائر.

Abstract

Beni Hammad Citadel witnessed an important cultural development during the fifth century AH the eleventh century AD, making it a powerful city, thanks to its fortified strategic location, which has helped it to repel all assaults. As a result, there was peaceful life and prosperity of the society, and a great radiance at all cultural, scientific, economic and industrial level. Thus, it presents a valuable example of the fortified Islamic city that was subject to
specific conditions for building, as those in charge of it and their residents proceeded to construct many architectural projects, including palaces, walls, mosques and other buildings. In an other hand, there were various trades and crafts that distinguished the region, as evidenced by geographical sources and archaeological excavations that have uncovered different monuments and structures such as the mosque, Al-Manar Palace, and defensive ones. As well as artefacts such as pottery, ceramics and coins. Through this intervention, we will try to highlight the cultural status of this fortress through what was stated by geographers and travelers, in addition to the various archaeological remains that were discovered during the excavations .

Keywords: Citadel – Sources – Arts – Monuments- Beni.Hammad

* المؤلف المرسل

ISSN: 1111-7699
EISSN 2600-6499

1. مقدمة

عرف المغرب الأوسط تأسيس عدة دويلات مستقلة خلال الفترة الوسيطة، وكانت دولة بني حماد ثاني دولة مستقلة نظامية بعد الدولة الزيرية، وكانت قلعة بني حماد أول عاصمة لها. حيث شيدت سنة 398هـ/ 1007-1008م من طرف مؤسسها حماد بن بلكين. وحسب النصوص التاريخية فإن القلعة عرفت إبان القرن 5هـ/11م إشعاعا كبيرا على المستويات الثقافية والعلمية والإقتصادية، وخلال القرن6هـ/ 12م بدأت أهمية المدينة تضمحل ببروز مدينة بجاية التي اتخذت عاصمة لاحقا، ثم ذهبت وخربت من طرف بنو هلال ثم الموحدين وأصبحت لا تذكر في المصادر بعد نهاية القرن. ولعل مدينة القلعة كغيرها من المدن الإسلامية التي خضعت إلى شروط بناء المدينة على أساس جلب النافع ودفع الضار.

تميزت القلعة بموقعها الإستراتيجي الحصين، إضافة إلى الخصائص الطبيعية المميزة للمنطقة من مناخ معتدل ملائم للعيش دون أمراض و توفر المياه من وديان وعيون وآبار، التي تساعد على سد احتياجات السكان للحصول على الغذاء والمرعى والمحطب والأراضي الخصبة.

عرف موقع قلعة بني حماد أعمال التنقيب منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى سنوات السبعينات من القرن 20م قام بهذه التنقيبات الأثرية العديد من الباحثين بدأت سنة1886م من طرف بول بلونشي ثم دو بيلي سنة 1908م تليها التنقيبات التي اقيمت سنة 1951م من طرف قولفان، وأخيرا أعمال الحفريات التي قام بها الاستاذ رشيد بورويبة بعد الاستقلال و صنفت كتراث عالمي سنة 1980م .

تمخض خلال الحملات المختلفة من الكشف عن العديد من العمائر كالمسجد الجامع و القصور كقصر المنار و قصر الأمراء و قصر البحيرة إضافة إلى الكم الهائل من اللقى المختلفة: الصهاريج،المشغولات الفخارية والخزفية ذي بريق معدني، المشغولات المعدنية المختلفة وغيرها.

و من أجل السير على هذا المنوال خصصنا هذا المقال لإماطة اللثام عن هذه المدينة آملين أن يكون بداية لتنقيبات جديدة للكشف عن منشئات أخرى فهذه المدينة تعتبر من بين المدن الاولى في المغرب الاوسط، و التي كانت لها دورا هاما ما بين القرنين 10 و12م إلى أن تلاشت واضمحلت بعد أن هجر معظم سكانها إلى بجاية واكتساحها ثم تخريبها ونهبها من طرف بني هلال ثم الموحدين.

والإشكالية المحورية لهذا المقال كيف يمكن استقراء عمران هذه المدينة تم البحث في المصادر والمراجع التي تطرقت إلى ذكر القلعة وأهم البقايا الأثرية التي اكتشفت أثناء الحفريات. وللإجابة عن هذه الإشكاية انطلقنا بالبحث عن المصادر والمراجع التي تطرقت لقلعة بني حماد. ولاحظنا أن العديد من المصادر ذكروها في كتبهم كالإدريسي وان خلدون وابن أثير وكتاب الإستبصار وغيرهم، إضافة إلى بول بلونشي ودو بيلي وقولفان ثم أخيرا

رشيد بورويبة إلى أن أهمل ذكرها وانعدمت الدراسات الحديثة عن هذه المدينة، فبقي معظمها مدفونة تحت التراب.

2. عرض

1.2. الإطار الجغرافي والتاريخي لقلعة بني حماد

1.1.2. الإطار الجغرافي

تقع قلعة بني حماد على المنحدر الجنوبي لجبل كتامة (جبل تاقربست وهو قسم من جبال المعاضيد حاليا) محدودة بين خطي طول 45° و50° شرقا، وخطي عرض 35° و50°شمالا. الذي تبعد ب36كلم شمال شرق المسيلة، تحيط بها سلسلة من الجبال التي جعلتها محمية طبيعيا (جبال القبائل الصغرى والبابور). فهي قاعدة حصينة بعيدة على أيدي النهاب وقطاع الطرق، ومخبأ حصين من ضربات الغزاة البحرية.[1] أرضيتها عبارة عن سطح ذو هبوط منتظم وهي عبارة عن هضبة صغيرة علوها عموما يصل إلى 950م، وارتفاعها على مستوى سطح الأرض يقدر ب100م.(انظر الشكل 01)

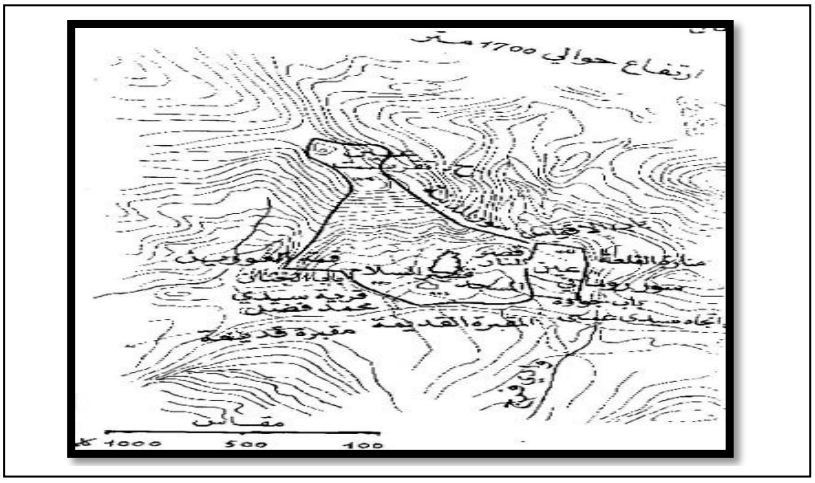

الشكل01: موقع قلعة بني حماد (عن:ا,العربي)

كما تتراوح قمم جبال المعاضيد ما بين 1200م و1863م على مستوى سطح البحرن إذ لها مناخ قاري بارد وممطر شتاءا وحار وجاف صيفا. يقدر المعدل السنوي لسقوط الأمطار ما بين 400 و427ملم، كما تتساقط الثلوج ما بين شهر جانفي ومارس. حيث تغذي هذه الأخيرة السيول التي تصب مجاريها في الأودية كوادي فرج ووادي الجنين.

[1] Bourouiba (R), La Qal'Aa des Beni Hammad, Rapport de mission polono-algérienne 1978-88 Varsovie vol 1,P.5.

2.1.2. الإطار التاريخي:

تنتسب دولة بني حماد إلى مؤسسها حماد بن بلكين الصنهاجي الذي ينتمي إلى قبيلة صنهاجة* وهذا ما يؤكده ابن خلدون في قوله" من أوفر قبائل البربر، حتى زعم كثير من الناس أنهم من أهم أمم البربر."أحصي لهذه القبيلة سبعون بطنا أهمها تلكاتة، بطن الزيريين والحماديين ومسونة ولموتنة بطن المرابطين".[2]حيث اختطت مدينة القلعة بجبل كيانة سنة ثمان وتسعين وبه لهذا العهد قبائل عياض من عرب هلال ونقل إليها أهل المسيلة وأهل حمزة وخربهما، ونقل جراوة من المغرب وأنزلهم بها وتم تمصيرها على رأس المائة الرابعة..."."[3]

خلف القائد حماد بعد وفاته سنة 419هـ/1029م وسار على دربه كما يذكر المؤرخون، وعند استقراره على الحكم عين أخويه يوسف على المغرب والثاني على سوق حمزة (البويرة).[4]

ثم ساءت الأحوال بين القائد والمعز فحاصر القلعة مدة سنتين ثم اصطلح معه وافرج عنه، فلما أعلن المعز ولاءه للعباسيين غضب الخليفة المستنصر بالله لانفصاله عن الفاطميين بعث له قبائل من مصر (بني هلال وبني سليم)*.[5] ونستنتج من خلال هذا أن العلاقة بين الزيريين والحماديين كانت غير مستقرة بين الصلح والإستقرار والإضطراب. عند دخول بنو هلال إلى المغرب الأوسط عقد الأمير بلكين بن محمد صلحا معهم حيث احتفظ بالقلعة واستقر بنو هلال إلى المغرب الأوسط في الأرياف والبوادي.[6] يقول ابن خلدون في هذا الصدد " ... إن المعزّ بعث بالصريخ إلى ابن عمه صاحب القلعة القائد ابن حماد ، فكتبه كتيبة من ألف فارس سرحهم إليه "[7]

وفي سنة 454هـ/1062م تمكن بن علناس من قتل الأمير بلكين ابن محمد ليأخذ مكانه في الحكم ونشبت حرب بينهما مجددا واستعان الحماديون بصنهاجة وزناتة وبنو هلال، أما الأمير الزيري تميم بن المعز فأرسل بدوره إلى أمراء بني رباح وأحضرهم إليه واتفق معهم، أن المهدية حصن منيع في البحر لكن في البر لديها أربعة أبراج فقط للحماية. والتقى الجمعان في منطقة سبيبة وانهزم الجيش الزيري وتبعهم عساكر الناصر.[8] كما يذكر ابن أثير هذه الحادثة في قوله: "إلى أمراء بني رباح فأحضرهم إليه فأحضرهم إليه و قال لهم أنتم تعلمون أن المهدية حصن منيع أكثره في البحر، و لا يقاتل في البر غير أربعة أبراج يحميها أربعون رجلا ، و إنما جمع الناصر العساكر إليكم فقالوا الذي تقوله حق ونحب منكم المعونة فأعطاهم المال و السلاح و تحالفوا و اتفقوا على محاربة الناصر..."[(1)] .

---

[2] ابن خلدون عبد الرحمان، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب، الجزائر، 1263-1847م، ج1، ص309.

[3] ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص222-223.

[4] ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص352.

[5] الأدريسي الهادي، الدولة الصنهاجية، تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر الميلادي، ج1، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992، ص247.

[6] بورويبة رشيد، الدولة الحمادية، تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص54-55.

[7] ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ج6، ص32.

[8] ابن الأثير عز الدين ابن الحسن، المصدر السابق، ج7، ص101.

بعد انهزام الزيريين في هذه المعركة راحت شوكتهم تضعف وانحصر حكمهم في المهدية، فأصبحت القلعة عاصمة لدولة قوية تتبع لها ستة ولايات: مليانة، حمزة، نقاوس، قسنطينة، مرسى الدجاج، الجزائر وأشير. وامتد توسعها إلى ثلاث مناطق من افريقية: صفاقس، قسطيلة وتونس.[9]

في هذه الفترة بلغت الدولة الحمادية قمة تطورها الحضاري والثقافي لاستقبالها جموع العلماء والفنانين وأعيان إفريقيا ، فوسعوا عمرانها وأثرو حضارتها وكانت لها الواقعة بين بني حماد والعرب الهلالية. سمع تميم بن المعز وأسف لذلك وكان للناصر وزير اسمه أبو بكر بن أبي الفتوح، فغضب على الناصر لأنه لم يتفق مع ابن عمومته على العرب الهلالية، فأرسل الناصر رسولا يعتذر فرد عليه عن طريق البعبع، وعند مروره ببجاية أعجبه الموقع وأمر حينئذ بالتخطيط والبناء وسماها الناصرية نسبة إليه.[10]

عند وفاة الناصر سنة 481هـ/1089م خلفه ابنه المنصور وعمره لا يتجاوز احدى عشر سنة وفضل في بداية حكمه الإستقرار بالقلعة. ثم انتقل بعد سنتين إلى بجاية وتنسب اليه الكثير من الأعمال الإنشائية بالقلعة كقصر المنار وقصر السلام.[11]

بعد وفاة المنصور خلفه ابنه الباديس الذي توفي في نفس السنة ثم خلفه أخوه العزيز الذي استقر ببجاية وانقطع عن الذهاب إلى القلعة خاصة بعد استعمارها من طرف العرب الهلالية وقاموا بتخريبها واقتحام بنايتها. [12]

ومن أهم الأسباب التي أدت بسقوط الدولة الحمادية هو ضعف بنو زيري ودخول النورمان إلى إفريقية موازاة مع ظهور الموحدين على مسرح الأحداث حيث استولى عبد المؤمن بن علي مؤسسها على جميع أقطار المغرب الأقصى وخرج من مراكش متجها نحو يحيى بن العزيز حتى تمكن من دخولها فلزم عليه الأمر بمبايعة عبد المؤمن بن علي سنة 547هـ/1152م وهو تاريخ سقوط الدولة الحمادية على يد الموحدين.

رغم ما عرفته قلعة بني حماد من اضطرابات سياسية أحيانا نوع من الهدنة وتارة أخرى حروب كما ذكرت المصادر، إلا أن وصلنا العديد من الشواهد المادية التي عرفتها القلعة والتي تبين ازدهار القلعة آنذاك طيلة قرن ونصف من الزمن.

[99] Bourouiba R, Cités disparues Tahert, Achir, Qalaa des Beni Hammad 1, Art et culture Ministre de l'Information, Alger 1982, p99.

[10] ابن الأثير عز الدين ابن الحسن، المصدر السابق، ج7، ص73-78. أنظر أيضا: ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص357.

[11] ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص357.

[12] ابن الأثير عز الدين ابن الحسن، المصدر السابق، ج7، ص73-78.

ISSN: 1111-7699
EISSN 2600-6499

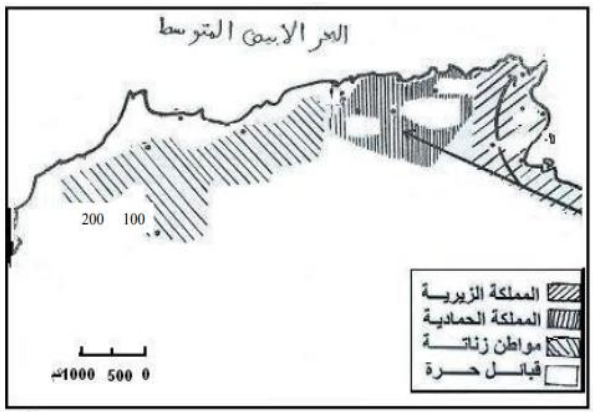

خريطة رقم 1: حدود الدولة الحمادية
(عن عبد الرحمان الجيلالي)

2.2. قلعة بني حماد من خلال الشواهد المادية :

عرفت القلعة تطورا ملحوظا في شتى المجالات ودليلا على ذلك ما خلفه الحماديون من شواهد مادية متنوعة، منها التي اكتشفت من خلال الأبحاث الأثرية في القرن 19م ومنها التي لازالت مدفونة تحت الأنقاض، لأن أعمال التنقيب التي توالت على القلعة اقتصرت على بعض المعالم ولم تغطي كامل الموقع. بدأت هذه الأبحاث سنة 1853م بعد تأسيس الجمعية الأثرية بقسنطينة، وكانت أول التنقيبات سنة 1886-1887م من طرف بول بونشي، ثم تلتها التنقيبات التي قام بها دو بيلي سنة 1908م التي دامت 3 أشهر ونصف. ثم استأنفت الأبحاث من طرف قولفان سنة 1951م، وبعد الإستقلال استأنف الباحث الجزائري رشيد بورويبة رحمه الله أعمال الحفر ودامت حوالي 7 سنوات، وفي 5 سبتمبر 1980م صنفت القلعة ضمن التراث العالمي.

من خلال الأبحاث الأثرية التي قاموا بها هؤلاء الباحثين تم الكشف عن عدة بنايات إضافة إلى الكم الهائل من اللقى الأثرية بشتى أنواعها.

1.2.2. أهم العمائر التي اكتشفت بقلعة بني حماد:

لقد انفردت العمارة الإسلامية بالمغرب الأوسط بخصائص معينة مما جعلت منها طرازا متميزا عن غيرها، واتخذت سمات مميزة خاصة بقلعة بني حماد. كما تعد القلعة نموذجا حيا للمدينة الإسلامية في القرون الوسطى، وكانت لها أهمية كبيرة في تاريخ الفن المعماري، وذلك لموقعها الإستراتيجي الحصين المعزول من تخوم جبال الحضنة يقول البكري في هذا الصدد "وهي قلعة كبيرة ذات منعة وحصانة تمصرت عند خراب القيروان، وانتقل إليها أكثر أهل إفريقية."[13] إلا أن معظم معالمها لازالت تحت الأنقاض. من أهم المباني التي كشفت عنها الحفريات الأثرية نجد:

[13] البكري أبي عبيد الله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك نشره البارون دوسلان، الجزائر، 1937، ص49.

ISSN: 1111-7699
EISSN 2600-6499

- **العمائر الدينية:**

تعتبر العمارة الدينية أساس العمارة الإسلامية، وذلك لما تحمله من تعاليم الدين الإسلامي فهي تضم العديد من المباني كالجوامع والمساجد والمصليات والأضرحة وغيرها. كما تعد دار لعبادة المسلمين وإحدى ركائز بناء المجتمع المسلم، اكتشفت البعض من المساجد بقلعة بني حماد منها مسجد القلعة ومسجد قصر المنار.

- **مسجد القلعة:**

يعتبر المسجد من أهم المباني المتواجدة في القلعة وهذا ما دلت عليه الحفريات ويرجع تاريخ انشائه الى سنة 481 هـ اي تاريخ تشييد المدينة، إذ أن المسجد أول بناية تقوم عليها المدينة الإسلامية كما هو الحال بقلعة بني حماد. مخطط هذا المسجد لا يختلف عن المساجد الإسلامية الأخرى. يقع المسجد في أسفل المدينة من القسم الجنوبي، مخططه شبه مستطيل الشكل ومساحته الإجمالية 63.2X 530م، يحتوي بيت الصلاة على 13 أسكوب تقطعها 8 بلاطات، وله إحدى عشر باب.[14] ولم يبقى منه إلا مئذنته المربعة الشكل التي يصل ارتفاعها إلى 20م[15]، وقواعد الأعمدة، يشمل على صحن محاط برواق، في وسطه نافورة مغطاة بقبو.[16]

صورة رقم 04: مسجد القلعة (عن غوغل)

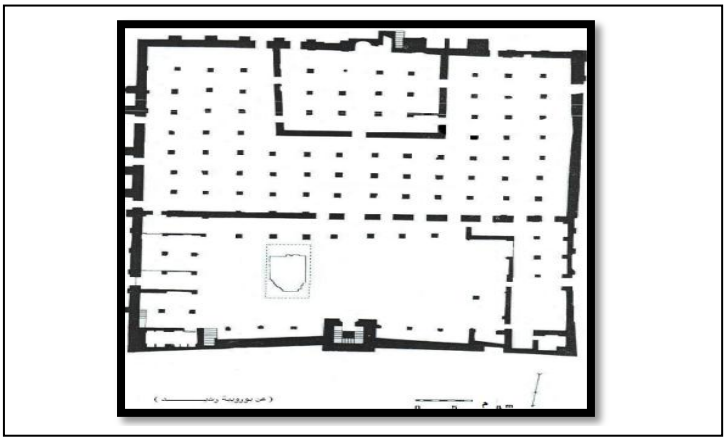

مخطط رقم 02: مخطط مسجد القلعة (عن ديفيل سميحة)

[14] Rachid Bourouiba, L'art religieux musulman en Algérie, S.N.E .D, Alger-(2), 1981, p.17.
[15] Ibid, p.28.

[16] رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص211.

- مسجد قصر المنار:

اكتشف هذا المسجد أثناء التنقيبات سنة 1078م بقصر المنار، حيث يعد أصغر مسجد في العالم الإسلامي، يحتوي على محراب نصف دائري تعلوه قبة نصف دائرية انهدمت قمتها ويعتبر المسجد الوحيد الذي يشبه قبة الصخرة.

كما إهتم الحماديون بتشييد القصور فنجد من خلال التنقيبات التي أجريت بالموقع انه تم الكشف على عدة قصور بالقلعة كما يقول الإدريسي في هذا الصدد: "ومدينة القلعة من أكبر البلاد قصرا وأكثرها خلعا وأغزرها خيرا وأوسعها أموالا واحسنها قصورا ومساكن وأعمها فواكه وخصبا وحنطتها رخيصة ولحومها طيبة سمينة.." [17]وهذا دليل على أن القلعة أيضا كانت خيراتها وافرة من خضر وفواكه ولحوم وغيرها.

- **العمائر المدنية:**

تعد العمارة المدنية من العمائر الهامة التي تخدم المسلم في حياته اليومية، إذ لها دور وظيفي وجمالي أين يمارس المسلم نشاط الإجتماعي والإقتصادي والفكري والسياسي، ويطوره حسب متطلبات المجتمع. وذلك من خلال توفر الإستقرار كوفرة المياه وحاجات الإنسان المعاشية من بين هذه العمائر نجد المساكن، القصور، الأسواق والحمامات وغيرها. من خلال الحفريات المنجزة بقلعة بني حماد تم الكشف عن العديد من القصور نذكر منها:

- قصر البحر:

يسمى أيضا دار البحر أو البحيرة، استمد إسمه من البحيرة التي تقع في أحد مجمعات القلعة، شيد على هضبة عالية. اكتشف هذا الأخير من خلال التنقيبات سنة 1908م من طرف دو بيلين يحيط به سور حجري.[18]

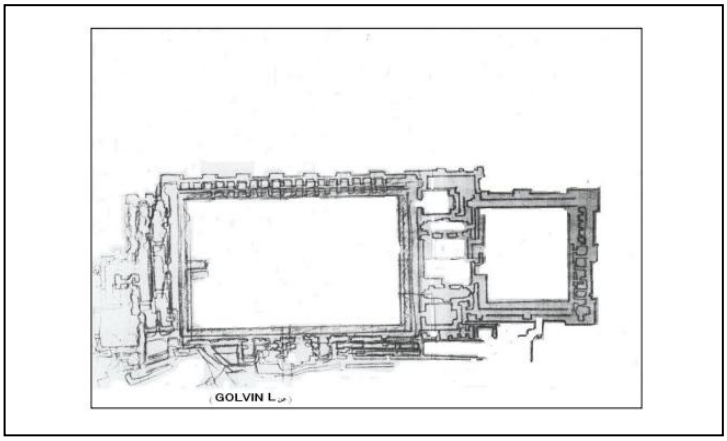

مخطط رقم 3: لقصر البحر (عن ديفل سميحة)

[17] الشريف الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، د.ت، مطبعة بريل، ص88.

[18]

- قصر المنار:

يقع هذا القصر في الجهة الشرقية للقلعة على المنحدر الذي يطل على وادي فرج، يتكون من عدة بنايات فوق بعضها البعض يحيط به سور للإحتماء، التنقيبات الأثرية التي يتعين استكمالها قد تساعد في استجلاء المعلومات عن هذا القصر. يتخذ البرج المحصن الذي شيد على حافة منحدر صخري يشرف على وادي فرج مساحته مربعة الشكل، يتكون من عدة قاعات مختلفة الشكل من بينها القاعة الشرفية للقصر وكذا المسجد الصغير الذي سبق ذكره، بني هذا القصر بأسلوب فني بديع، ودليلا على ذلك واجهة الجدار الشمالي للقصر، يحتوي على ألواح مستطيلة من الرخام يعلوه شريط من الرخام يعلوها شريط مزين بعناصر هندسية منقوشة من الحجر، وكانت القاعة الشرفية مبلطة بقطع من الخزف بيضاء وخضراء. نجد بالقصر أحواض من الزهور والأشجار المثمرة ونافورات المياه.[19]

- قصر السلام:

بني هذا القصر على هضبة يحيط جزء منه سور المدينة، وحسب حفريات قولفان سنة 1952م. يشمل على قسمين: القسم العلوي له سور مبني من الحجر مربع الشكل محصن بأبراج في زواياه الأربعة على شكل ثلاث أرباع دائرة، ويقع في الغرب من القلعة.

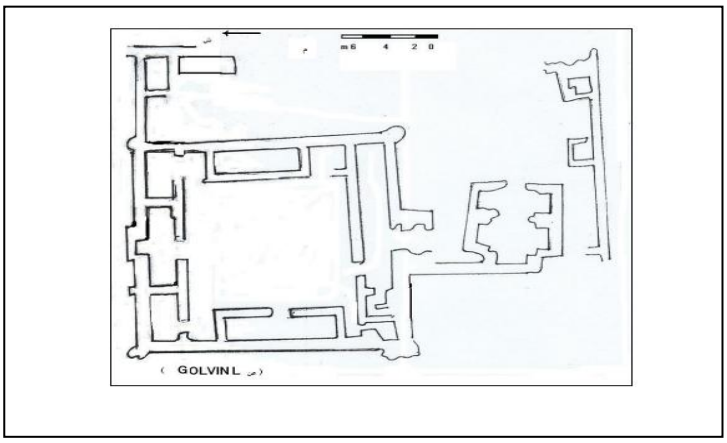

مخطط رقم 04: مخطط قصر السلام
(عن قولفان)

[19] عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، دار الشروق، 1980، ص73.

- قصر الأمراء:

يقع في الجهة الشمالية الشرقية للقلعة خصص للأمراء، سمي كذلك لوجود مساكن لا تليق إلا طبقة راقية من المجتمع، يكاد يتصل بقصر البحر، يتكونمن ثلاث جهات الجهة الأوللى عبارة عن خزانات والثانية مخصصة للأمير وحرمه، أما الجهة الثالثة فهي ملاحق خاصة بالخدم والمخازن.[20]

- قصر الكوكب:

لم تجري أية حفرية بهذا القصر، يقع هذا الأخير بين قصر السلام وقصر البحر.

- **العمائر الدفاعية:**

تقام المنشآت الدفاعية لحماية موقع ما من الهجمات المعادية وتقويته وهي تحصينات تربط بنظام دفاعي محكم.

تشمل العمارة الدفاعية السور المحيط بالقلعة بني من الحجارة والدبش، يتراوح عرضه ما بين 1.2م و1.6م وطوله 7 كلم تتخلله 3 أبواب رئيسية، أما الأبواب الأخرى فقد اندثرت:

- **باب الأقواس:** لم يبقى مكانه إلا آثار السور على يمينه وشماله.
- **باب الجنان:** يتواجد في الجهة الشرقية للقلعة يؤدي إلى طريق القيروان.

من المعلوم أن أي مدينة إسلامية لا تخلو من الأحياء، ومن بين الأحياء التي اكتشفت نذكر حي واحد وهو حي جراوة الذي ذكرناه سابقا إلا أن الأحياء الأخرى لازالت مدفونة تحت التراب.

- **أهم الموارد المائية التي استغلت من طرف الحماديين:**

لقد حدد علماء السياسة الشرعية من العرب والمسلمين في مجال عمران المدن الأسس التي يجب على الحكام مراعاتها عند إنشاء أية مدينة، حيث ذكر إبن خلدون في مقدمته أمران مهمان يقوم عليهما في تخطيط المدينة وهو جلب النافع ودفع الضار.[21] أما ابن أبي ريع فجعل الماء من الشروط الأولى لإنشاء أي مدينة وذلك حسب قوله أن يسوق إليه الماء العذب للشرب، حتى يسهل تناوله من غير عسر .[22]ويعني ذلك أن موقع المدينة يجب أن يكون قريب عن مصادر المياه فنجد ان المؤسس حماد بن بلكين عند تأسيسه لمدينة القلعة راعى في ذلك دعائم العمران في جلب النافع ودفع الضار. فمدينة بحجم القلعة تستهلك كمية معتبرة من المياه لسد الاحتياجات المنزلية والصناعية للسكان. كما يذكر قولفان أن تموين المدينة بالمياه يعد لغزا حقيقيا، فالينابيع على امتداد وادي فرج وعلى أطراف المدينة غير غزيرة وتكفي الأهالي فقط. ومقابل ذلك فإن وجود منشآت الري المتواجدة بالموقع من بقايا أحواض وحمامات وبحيرة قصر البحر توحي إلى أنّ المدينة كانت دائمة التموين بالمياه.[23] لكن قول قولفان يتنافى مع البقايا الأثرية للمجاري المائية المحيطة بالقلعة

[20] Golvin (L),Recherche …, Op.Cit, p.191.

[21] عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، تحقيق وتعليق عبد السلام شدادي، ج2، 2006، ص182.

[22] خالد مصطفى عزب، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، كتاب الأمة، عدد 58، ص 74.

[23] Golvin Lucien, Recherche archéologique à la qual'a de Beni-Hammad GP. Maisonneuve et Larose, Paris , 1965 , p.36.

من حيث موقعها وغزارتها التي يمكن جرّها إلى المدينة، كما أشار اللواء دوبيلي في كتابه إلى المجاري المائية التي كانت تستغل في الفترة الحمادية حيث ذكرت مختلف الأودية والعيون كوادي فرج وعيون القليعة والتقربست والوادي الذي يحد المدينة من الناحية الجنوبية على سفح جبل الرحمة.[24]

أما كتاب الإستبصار فأشار إلى حوض البحر الذي كان يجلب إليه الماء،[25] فبذلك المعطيات التي ذكرتها المصادر تعد مبهمة من هذا الجانب.

من أهم المجاري المائية التي استغلت من طرف الحماديين نجد:

- **الأودية:**

كوادي فرج الذي كان يسمى بوادي جراوة الذي ينبع على بعد 800م شمال باب الأقواس. ووادي الجفين الذي يعد أبعد نقطة تموين بالمياه عن القلعة فهو ينبع على بعد 4000م عن القلعة.[26]

- **العيون:**

أما بالنسبة للعيون فنجد عين الزرايف التي تبعد ب 3000م غرب جبل القرين على مستوى 150م، حيث استغلت لتموين القسم الجنوبي من القلعة ، وعين السلام التي خلدت في المصادر التاريخية بأبيات شعرية، تنبع في الضفة الغربية لوادي فرج، ويطل عليها برج المنار على بعد 150م شمالا.تعتبر عيون التقربست والقليعة ينابيع جبلية قليلة المياه.[27]

- **الآبار:**

من المعلوم أن الحماديين قاموا باستغلال المياه الجوفية بحفر الآبار، حيث ذكر دو بيلي إلى وجود بئر قرب المسجد،[28] وكشفت الفرقة الجزائرية–البولونية شمال المسجد عى بئر آخر.[29](انظر الصور 1و2و3)

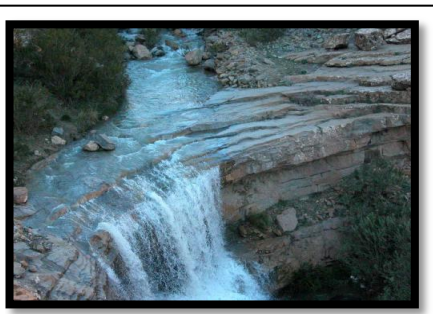

صورة رقم 1و2: منبع وادي الجفين(عن بن خرباش عبد النور)

[24] De Beylie(l) ,La Kalaa de Beni-Hammad une capitale berbère de l'Afrique du Nord du XI siècle Leroux, Paris 1909, p.36.

[25] مؤلف مجهول، الإستبصار، ص 168.

[26] بن خرباش عبد النور، نظام ومنشآت الري في قلعة بني حماد، رسالة لنيل شهادة ماجستير، 2008–2009، ص18.

[27] نفسه، ص19–20.

[28] De Beylie (l), Op cit, p.38.

[29] بن خرباش عبد النور، المرجع السابق، ص19.

ISSN: 1111-7699
EISSN 2600-6499

صورة رقم 3: منبع وادي فرج(عن بن خرباش عبد النور)

2.2.2. أهم الفنون التطبيقية بقلعة بني حماد:

على شأن قلعة بني حماد إذ فتحت أبوابها لأصحاب التجارة وأرباب الصنائع والفنانين والعلماء. فاستبحرت في العمران وأضحت من أعظم المدن الإسلامية آنذاك.[30] يقول الإدريسي في هذا الشأن: "ومدينة القلعة، من أكبر البلاد قطرا وأكثرها خلقا وأغزرها خيرا وأوسعها أموالا وحنطتها رخيصة وكومها طيبة.."وقال أيضا: "فيها الوام والدواب، لأنها بلاد زرع وخصب فلاحتها إذا كثرت أغنت وإذا قلت كفت، فأهلها أبد الدهر شباع وأحوالهم حسنة..".[31] كما يذكر ابن الخلدون فيقوله: "وزحل إليها من الثغور القاصية والبلد البعيد طلاب العلوم وأرباب الصنائع لنفاق أسواق المعارف والحرف والصنائع بها..".[32]

كماشهدت الفنون التطبيقية دورا كبيرا في العصر الحمادي بالقلعة، و حظيت بالرعاية و التشجيع من قبل الحكام، تتنوع و تتعدد الصناعات لتوفر المواد الاولية مما جعلها تتميز عن الانواع الاخرى من الفنون. حيث شكل الفنان المسلم منها ما يستخدمه في الحياة اليومية من أواني وما يتخد للزينة ومنشآت وأدوات الحفظ والتخزين كما تنوعت المواد التي صنعت منها هذه الفنون التطبيقية من فخار وخزف تتمثل الصناعات الفخارية و الخزفية في اواني الطعام الشراب من صحون ،اطباق، اقداح،قدور،اباريق،قلل،جرار،مصابيح. وخشب ومختلف المعادن كالذهب والفضة والنحاس والبرونز والحديد، واستعملوا طرق وتقنيات مختلفة في صناعتها وزخرفتها وبالتالي تنوع المشغولات وتعدد الأشكال والأحجام والزخارف والمادة.

- **الفخار والخزف:**

تعتبر الصناعة الفخارية من أعرق الصناعات التي عرفها الإنسان، حيث ترتبط بحياته ارتباطا وثيقا، فلها أهمية كبيرة في تتبع مراحل التطور الحضاري المختلف وكذا التطور التقني والفني والرقي الإجتماعي التاي بلغتها الشعوب المختلفة خاصة خلال القرون. الوسطى كما حظي الفخار والخزف بعناية الكثير من العلماء والباحثين فتناولوه بالبحث والدراسة

[30] ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص223.

[31]الإدريسي، المصدر السابق، ص64.

[32] ابن خلدون عبدالرحمان،المصدر السابق، ص163,

ISSN: 1111-7699
EISSN 2600-6499

الواعية وهو من أقدم اللقى التي يعثر عليها منقبو الآثار. كما تعتبر المشغولات الفخارية والخزفية من مستلزمات الإنسان في حياته اليومية في تلك الفترة. مما جعل الحرفي المسلم في الفترة الوسيطة إلى تطوير صناعتها والمحافظة على استمراريتها وهذا ما أسفر إلى إنتاج فخاريات وخزفيات ذات أشكال وأحجام مختلفة ذات وظائف متباينة بقلعة بني حماد.

_نماذج من المشغولات الفخارية والخزفية:

صورة 05:قلة فخارية بشبابيك (عن ديفيل سميحة)

صورة 06: ابريق من الفخار فخارية(عن ديفيل سميحة)

صورة 07: زير كبير من الفخار (ديفيل سميحة)

صورة 08: مسرجة ذات بدن وعنق عميق(حفيظة هادي)

- **الزجاج:**

بدأت ممارسة صناعة الزجاج منذ العهد الفينيقي، واستبحرت هذه الصماعة إلى أن وصلت عند الفنان المسلم الذي طورها حسب احتياجاته حيث بلغت ذروته في العهد الفاطمي بمصر في القرن 4 إلى 7و8هـ/ إلى 16-17م. كما ذكر مصطلح زجاجة في القرآن الكريم في قوله تعالى:" مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة،الزجاجة كأنها كوكب ذري يوقد من شجرة مباركة".[33] يذكر البكري أنه كان هنا كمعامل الخزف والزجاج.

[33] الآية 35 من سورة النور.

صورة 09: شقفة من قارورة زجاجية (عن ديفيل سميحة)

- **الصناعات المعدنية:**

تعد الصناعات المعدنية فرعا من فروع الفن الإسلامي، ونتاج الحرف اليدوية وتعد من الشواهد المادية التي استعملها الفنان المسلم في التصاميم التي زينت بها سطح المشغولات،[34] منها النحاسية والحديدية والبرونزية والذهبية والفضية وغيرها من المعادن. حيث كان المغرب الأوسط غنيا بالمعادن حيث يذكر الإدريسي في هذا الصدد"...وبها معادن الحديد الطيب موجودة وممكنة".[35]

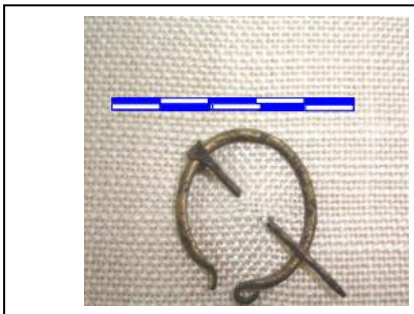

صورة 10: ابزيم من النحاس (عن ديفيل سميحة)

صورة 11: ابزيم من البرونز (عن ديفيل سميحة)

صورة 12: سوار من الفضة (عن ديفيل سميحة)

صورة 13: أقراط من الذهب(عن ديفيل سميحة)

[34] برحايل إيمان، الصناعات المعدنية الإسلامية في القرن 19م من خلال نماذج محفوظة بمتحف أحمد زبانة بوهران، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع واتاريخ، المجلد 18، عدد01، ص499-500.

[35] الإدريسي أبي عبيد الله الشريف، المصدر السابق، ص63.

3. خاتمة

من خلال المنشآت المختلفة والصناعات المتنوعة التي استغلها الحماديون حاولنا في هذا المقال ابراز مكانة قلعة بني حماد خلال الفترة الحمادية وإماطة اللثام عن أسرارها لإبراز أهميتها السياسية والحضارية وعليه خلال ما تم ذكره سابقا فقد استطعنا الوصول إلى بعض النتائج التي يمكن ذكرها فيما يلي:

– لم يدم الإستقرار الحمادي بالقلعة طويلا بسبب بروز مدينة بجاية واكتساحها من طرف بنو هلال ثم الموحدين.

– عرفت ازدهارا واسعا في شتى المجالات ما بين القرنين 10 و12م السياسية والحضارية والفنية.

– موقعها الاستراتيجي الحصين ساعد على بقاء القلعة بعيدة عن المخاطر والهجمات والقوى المعادية من خلال جملة التضاريس الوعرة إضافة إلى سورها الشاهق.

– تتميز القلعة بتنوع معالمها منها التي اكتشفت خلال الحفريات ومنها التي لازالت تحت الأنقاض، كالمسجد الجامع ومسجد قصر المنار وكذلك القصور كقصر الأمراء وقصر البحيرة .

– كانت للمدينة أهمية تاريخية وأثرية كبيرة جدا للباحثين باعتبارها من المدن العواصم التي شهدت تطورا هاما في العمارة والعمران والفنون التطبيقية لكن س رعان ما اضمحلت وخربت.

_ نوصي ببرمجة حفرية في القريب العاجل للوصول إلى تحديد أنماط عمارتها، وطريقة توزيعها في الفضاء الداخلي لها والكشف عن البقايا الأثرية الأخرى.

4. المراجع البيبليوغرافية

– ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في بناء العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، دار النشر اللبنانية.

– ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، تحقيق وتعليق عبد السلام شدادي، ج2، 2006، ص182.

– ابن الأثير عز الدين أبي الحسن، الكامل في التاريخ، الجزء الثامن، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1966.

– الشريف الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، د.ت، مطبعة بريل

– إدريس الهادي، الدولة الصنهاجية، تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر الميلادي، ج1، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992

– مجهول، كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة، ومصر وبلاد المغرب، لكتاب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري، نشر وتعليق الدكتور سعد عبد الحميد زغلول، جامعة الإسكندرية، 1958.

– بورويبة رشيد، الدولة الحمادية، تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.

– خالد مصطفى عزب، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، كتاب الأمة، عدد 58، ص 74.

– بن خرباش عبد النور، نظام ومنشآت الري في قلعة بني حماد، رسالة لنيل شهادة ماجستير، 2008–2009،

– عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، دار الشروق، 1980.

– برحايل إيمان، الصناعات المعدنية الإسلامية في القرن 19م من خلال نماذج محفوظة بمتحف أحمد زبانة بوهران، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع واتاريخ، المجلد 18، عدد01،ص499–500.

- De Beylie(l) ,La Kalaa de Beni-Hammad une capitale berbère de l'Afrique du Nord du XI siècle Leroux, Paris 1909.

- Bourouiba. R, La Qal'Aa des Beni Hammad, Rapport de mission polono-algérienne 1978-88 Varsovie vol 1.

- Bourouiba. R, Cités disparues Tahert, Achir, Qalaa des Beni Hammad 1, Art et Culture Ministère de l'information, Alger 1982.

- Bourouiba. R, L'art religieux musulman en Algérie, S.N.E .D, Alger-(2), 1981

- Golvin Lucien, Recherche archéologique à la Qal'a de Beni-Hammad GP. Maisonneuve et Larose, Paris , 1965.

.